

(١٢) الصورة الإعلامية للمرأة العربية في عصر العولمة التحديات والتحديات

يدور هذا الموضوع حول ثلاثة محاور نوجزهم على النحو التالي:

المحور الأول: يتناول التغيرات التي طرحتها الثورة العلمية والتكنولوجية في مجال الاتصال والمعلومات وتأثيرها على الواقع الاجتماعي والثقافي في المجتمعات العربية وفي قلبها الأسرة والمرأة العربية.

المحور الثاني: يركز على مساحات التجاهل والاهتمام الذي تحظى به صورة المرأة العربية في الإعلام وتأثير ذلك على منظومة القيم الأسرية والمجتمعية.

المحور الثالث: إبداع المرأة العربية في مجال الصحافة والإعلام

تفصيلاً لذلك:

المحور الأول:

يواجه العالم العربي، في نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مجموعة من التحديات السياسية والاجتماعية والثقافية والتكنولوجية في ظل مناخ إقليمي ودولي يشهد تحولات متسارعة ونزوعاً إلى مزيد من الهيمنة الغربية الاقتصادية والسياسية التي انعكست آثارها على الأسرة والمرأة العربية بشكل خاص ولعل من أبرز التحديات التي تواجه العالم العربي في السنوات الأخيرة ذلك التطبيق القاصر في مفهوم التنمية البشرية وتجاهل المغزى الحقيقي لهذا المفهوم وما

ينص عليه من توسيع دائرة الخيارات أمام كافة أفراد المجتمع من الرجال والنساء بما ينمى طاقات الشباب من الجنسين للإسهام في خلق الظروف الملائمة لتحقيق العدالة والمساواة وفق منهج تنموي متكامل وفي مناخ ديمقراطي حقيقى وفي هذا السياق تبرز الحقيقة التي تشير إلى غياب الحوار في كافة التشكيلات والمؤسسات الاجتماعية والثقافية والسياسية في الدول العربية مما يقود إلى العنف بمختلف صورة المفضيه إلى التوتر والصراع الذي يقوض تماسك الأسرة العربية وتنازل المرأة العربية النصيب الأكبر من تداعيات العنف وآثاره. كذلك تشهد المنطقة العربية منذ نهاية السبعينيات تطبيقات جائرة لسياسات لتكيف الاقتصادى الهيكلى في كثير من البلدان العربية بما يتضمنه ذلك من تقليص لدور القطاع العام وتخفيض للإنفاق الحكومى على الخدمات مضافاً إليها ما شهده عقد الثمانينيات من تفاقم في المديونية وتباطؤ في النمو الاقتصادى، ويضاف إلى ذلك اتساع الفجوة التكنولوجية القائمة بين العالم العربى والدول الصناعية المتقدمة تكنولوجياً مما أدى في ظل غياب التعاون العربى إلى آثار سلبية على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المجتمعات العربية عامة وعلى الأسرة العربية ووظائفها وأدوارها على وجه الخصوص. وتمثل هذه التغيرات في بروز صراع الأدوار بين أعضاء الأسرة العربية ذكوراً وإناثاً وتفكك العلاقات الأسرية وظهور أشكال من العنف المادى والنفسى بين أعضاء الأسرة وانتشار ظاهرة الطلاق بكل مرتباتها الحادة على تنشئة الأجيال واستقرارهم الاجتماعى.

وقد أسفر كل ذلك عن تخلخل منظومة القيم الأسرية حيث توارت القيم الأخلاقية وبرزت أهمية الاعتبار المادية على حساب القيم العاطفية والنفسية والتضامنية ورجحت كفة قيم التطلع المادى والفردية والمنفعة الشخصية لدى الأجيال الجديدة من الشباب. واكتسحت منظومة القيم الاستهلاكية المصاحبة

للعولمة في طريقها العديد من الجوانب الإيجابية التي تميز بها التراث العربي الإسلامي مثل قيمة العمل والتضامن الأسري واحترام كبار السن وتقديس الأبوة والأمومة وظهرت منذ نهاية السبعينيات تيارات فكرية وسلوكية جديدة في سياق التغيرات العلمية والتكنولوجية التي شهدتها دول الشمال والتي تواكبت مع المحاولات الدؤوبة التي تبذلها القوى العالمية من أجل عولمة الثقافة والتعليم والدين وسائر مكونات المنظومة الحضارية التي كانت تحتفظ باستقلال نسبي خارج دوائر وقيم السوق العالمية. وقد كان لذلك كله مردوده السلبي في مجال العلاقات الاجتماعية والثقافة والإعلام والاتصال حيث احتدم النقاش حول الأدوار الجديدة للإعلام سواء في المجال السياسي أو الاجتماعي والثقافي. إذ أصبح الإعلام يشغل موقعاً مركزياً في الاستراتيجيات والسياسات التي تستهدف بناء المجتمعات المعاصرة سواء في الشمال أو في الجنوب وإن كان ذلك أكثر وضوحاً في المجتمعات الصناعية المتقدمة تكنولوجيا حيث يبرز دور الإعلام في إعادة توزيع مراكز القوى في مختلف المواقع بدءاً بالأسرة والمدرسة والمصنع والمستشفى ثم مواقع العمل والترفيه على مستوى الأقاليم ثم مستوى الدولة ككل. وإذا كانت العولمة تسعى إلى خلق ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني وتتطلع إلى خلق الإنسان العالمي المبرمج ذي البعد الواحد المؤمن بأيديولوجية السوق العالمية والمتوحد مع مصالحها ورموزها وشعاراتها فإن ذلك ما كان ممكناً أن يتحقق إلا بفضل الثلاثي التكنولوجي المساعد الذي يعمل في تناغم وتكامل غير مسبوق. ويضم حسب ترتيب الأهمية كل من وسائل الإعلام السمعية البصرية وشبكات المعلومات وشبكة الاتصالات اللاسلكية وفي ضوء ذلك أصبحت الإمبراطوريات السمعية البصرية (الفضائية والأرضية) هي المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي حلت مكان كل من الأسرة والمدرسة والتي تقوم بدور أساسي في تلقين النشء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخي والقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية حيث تقوم بتقديم معلبات ثقافية محكمة الصنع تتضمن

منظومة جديدة من القيم تدور حول تشجيع النزعة الاستهلاكية وغرس قيم الأنانية والفردية والروح النفعية.

المحور الثاني:

وقبل أن نتطرق إلى رصد وتحليل صورة المرأة العربية في الإعلام يجدر بنا أن نشير إلى التغير الذي طرأ على مكانة المرأة بحكم موقعها المركزي داخل الأسرة في عصر العولمة وتأثير ذلك على صورتها في وسائل الإعلام حيث يلاحظ تزايد أهمية الدور الذي تقوم به قوة العمل النسائية في مضاعفة التراكم الاقتصادي لصالح الشركات العالمية والمحلية. فالمرأة في نظر هذه الشركات تعد منجماً جديداً يجب استغلاله إلى آخر قطره أولاً باعتبارها تمثل قوة العمل الرخيصة غير المنظمة التي لا تحتاج إلى ضمانات صحية أو تأمينية فهي تقبل ما لا يقبله الرجل سواء في مجالات القطاع غير الرسمي أو في الحرف والخدمات والصناعات التكميلية أو في المنازل.

وثانياً: باعتبارها ربة بيت لا تزال تقوم بالأعمال المنزلية الحيوية دون أجر فضلاً عن دورها الأساسي في الاستهلاك الذي يعد عماد السوق في عصر العولمة والمرأة ربة البيت التي لا تعمل (وهنا يحد الإشارة إلى أن أكثر من ٧٥٪ من النساء العربيات ربات بيوت) تعد المستهلكة لأولى في الأسرة بل هي التي تحدد اتجاهات الاستهلاك لدى سائر أعضاء الأسرة كل ذلك يضاعف من مكانة المرأة كركن أساسي في التراكم الاقتصادي القائم على عولمة السوق لصالح المتحكمين في مجلس إدارة اقتصاد العالم.

وإذا كنا نتحدث عن المرأة العربية والإعلام علينا أن نؤكد مجموعة من الحقائق أولها أن قضية تحرير المرأة تعد جزءاً عضوياً من قضايا تحرير جميع المستضعفين من الرجال والنساء الذين ينتمون إلى الفئات المقهورة طبقيّاً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً وفي مقدمتهم أهالي الريف والبدو الذين يعانون أساساً من

التهميش السياسى والاقتصادى ويضاف إلى ذلك التهميش الثقافى والاجتماعى بالنسبة للمرأة أى الطوق الحديدى الذى شكلته العادات والتقاليد السلفية عبر مئات السنين والتى رسخت فكرة النقص الأنثوى، الهيمنة الذكورية. والوجه الآخر لهذه الحقيقة يتمثل فى كون الإعلام جزءاً لا يتجزأ من النظام السياسى والثقافى العربى ولا يمكن أن نتناوله بمعزل عن هذا النظام وهذا يقودنا إلى الحقيقة الثانية التى تشير إلى بروز وجهين متناقضين للقضية، فإذا كان لابد أن نعترف بأن هناك تحسناً ملموساً فى أوضاع النساء العربيات خلال النصف الأخير من القرن العشرين خصوصاً فى ظل الجهود العالمية التى بذلتها الأمم المتحدة من أجل النهوض بأوضاع النساء ومحاولة إدماج المرأة فى تنمية مجتمعاتها والذى تمثل فى استراتيجية نيروبي ١٩٨٥ ومنهج العمل الصادر عن مؤتمر بكين ١٩٩٥، وهذا هو الوجه المضئ للقضية فإن الوجه المعتم يشير إلى أن معظم الأهداف الواردة فى وثائق هذه المؤتمرات لم تتحقق فلا تزال النساء العربيات محرومات من معظم حقوقهم المدنية والثقافية والاقتصادية فإذا كانت نسبة التعليم تتراوح ما بين ٣٥٪ إلى ٥٠٪ بين النساء العربيات فإن نسبة الأمية تتراوح ما بين ٤٠٪، ٨٨٪ ولا يزال ٧٠٪ من البنات فى سن التعليم خارج المدرسة كما أن مناهج التعليم تركز التقسيم التقليدى لأدوار الجنسين علاوة على الموروث الثقافى الذى يعزز فكرة النقص الأنثوى، وتشكل النساء نسبة تتراوح بين ١٠٪، ٤٠٪ من قوة العمل العربية ولكنها محصورة فى القطاع الزراعى والخدمى وتفتقر إلى الضمانات التأمينية فى كثير من الدول العربية والنساء العربيات أول ضحايا البطالة. هذا ولا تزيد نسبة مشاركة المرأة العربية فى المؤسسات التشريعية عن ٤٪ بينما تزيد فى الدول النامية عن ١١٪، ورغم أن المرأة العربية شاركت فى جميع معارك التحرر الوطنى والمقاومة ضد الغزو الأجنبى فى مصر وسوريا والجزائر وفلسطين وعدن وجنوب لبنان.. إلا أن مشاركتها فى مواقع صنع القرار لا تزال محدودة إذ لا يزيد عدد الوزارات عن ١٠ وزيرات من ٦٠٠ وزير فى الوطن العربى.

وهنا لنا وقفة.. علينا أن نتذكر دوماً أن المرأة العربية كانت سنداً ورفيقاً للشوار في ثورة المليون شهيد في الجزائر كما كانت حارسة أمينة للتراث العربى الإسلامى على امتداد ١٣٠ عاماً في مراجعة محاولات الفرنسية وقطع اللسان العربى ومحو الذاكرة القومية.

وفي فلسطين ظلت المرأة العربية على امتداد ٧ أجيال تزود ميادين المقاومة بآلاف الشهداء منذ هبة البراق ١٩٢٩ وانتفاضة القسام ١٩٣٥ واثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦ وحرب ١٩٤٨.. وبعد اغتصاب الوطن الفلسطينى وإقامة الكيان الصهيونى ظلت تواصل دورها الخالد فى المنافى تزود ساحة النضال بمزيد من الشهداء تنجب وتربى وتدفع بسخاء بفلذات أكبادها فداء للوطن.

وفي الجنوب اللبناى كانت المرأة اللبنانية نموذجاً يحتذى فى مواجهة الغطرسة الصهيونية وأعطت الدرس لجميع نساء العالم صموداً وفداء واستمرارية وفي العراق لا تزال المرأة العربية صامدة شامخة فى مواجهة الحصار الظالم للوطن الشقيق على مدى عشر سنوات. ثم الاحتلال الأمريكى منذ عام ٢٠٠٣ وفى السودان قاومت المرأة السودانية جنباً إلى جنب مع الرجل كافة أشكال السيطرة الأجنبية ومحاولات تمزيق الوطن إلى شمال وجنوب.. وتتوالى صور الصمود والاستبسال من جانب المرأة العربية فى ليبيا واليمن وسوريا ودول الخليج تحاول أن تفك أسر التركة التاريخية من الموروثات البغيضة التى تحاصر عقها وإرادتها تحت مسميات وحجج عديدة.

ورغم التعديلات التى طرأت على قوانين الأحوال الشخصية مما يضمن للمرأة العربية توفير حماية أكبر وحقوقاً أوسع إلا أنها لا تزال تعاني من بعض صور التمييز التى تتمثل فى احتفاظ الزوج بالحق المطلق فى الطلاق وتعدد الزوجات وحضانة الأطفال ولا تزال محرومة من منح جنسيتها لأبنائها، وتعانى معظم النساء العربيات فى الحضر والريف والبادية من شتى أشكال العنف المادى والمعنوى الذى

ي مارس ضدهن سواء داخل الأسرة أو في أماكن العمل أو في الأماكن العامة مما يعد انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان.

ويضاف إلى ذلك الآثار السلبية لسياسات التكيف الاقتصادي الهيكلي من تفاقم المديونية واتساع الفجوة التكنولوجية بين العالم العربي والدول الصناعية المتقدمة في ظل غياب التعاون العربي مما أدى إلى بروز صراع الأدوار بين أعضاء الأسرة العربية إناث وذكور وتفكك العلاقات الأسرية وانتشار ظاهرة الطلاق بكل مرتباتها الحادة على تنشئة الأجيال حيث توارث القيم الأخلاقية واكتسحت منظومة القيم الاستهلاكية المصاحبة للعولمة في طريقها العديد من الجوانب الإيجابية التي تميز بها التراث العربي الإسلامي مثل قيمة العمل والتضامن الأسري واحترام كبار السن وتقديس الأبوة والأمومة.

المحور الثالث: إبداع المرأة العربية في مجال الصحافة والإعلام

ويتناول المحور الثالث السؤال المطروح ماذا قدمت المرأة العربية للإعلام؟

كانت المشاركة النسائية في الصحافة العربية أسبق من كل الميادين فمنذ نهايات القرن التاسع عشر احتلت الصحافة النسائية موقعها على ساحة العمل الإعلامي المصري حيث برزت هند نوفل في مجلة الفتاة ١٩٨٢ وليبية هاشم في مجلة النهضة النسائية ١٩٠٦ ثم بلسم عبد الملك (المرأة المصرية) وتقيدة علام في (أمهات المستقبل) ومنذ عام ١٩٠٨ توالى أسماء الكاتبات والصحفيات جميلة حافظ وفاطمة نعمت راشد ومى زيادة ثم جميلة العلايلي ووداد سكاكيني وأسماء فهمى وسهير القلماوى وبنات الشاطىء وأمينة السعيد.

وقد تزايدت المشاركة النسائية في الإعلام العربي على امتداد العقود الثلاثة الماضية وأصبحت نسبة الإعلاميات العربيات تتراوح ما بين ٢٤٪ في اليمن و ٣٠٪ في مصر و ١٧٪ في البحرين و ٢٥٪ في كل من سوريا وتونس كما تبوأَت المرأة العربية

العديد من المواقع القيادية في الإعلام المرئي والمسموع وفي رئاسة تحرير الصحف في كل من مصر والعراق والجزائر والمغرب وتونس وسوريا والسودان والكويت وليبيا واليمن. هذا علاوة على العديد من الأسماء التي برزت في مجال الإعداد والإخراج والدراما الإذاعية والتلفزيونية مثل أنعام محمد علي وملك إسماعيل وآمال فهمي وفتحية العسال يضاف إليهم الكثيرات في الصحافة المكتوبة أمثال إنجي رشدي وجاكلين خوري وبهيرة مختار وسناء البيسى وإقبال بركة وسكينة فؤاد وفريدة النقاش وإقبال بركة.

وإذا كان لمصر فضل السبق في ظهور الصحافة النسائية في نهاية القرن التاسع عشر فإن القرن العشرين قد شهد منذ بداياته الأولى ظهور الصحافة النسائية في سائر الدول العربية. إذ حظى لبنان بالمرتبة الثانية في ظهور الصحافة النسائية وذلك في أوائل القرن العشرين أما سوريا فكانت الثالثة من حيث الترتيب حيث صدرت عام ١٩١٠ مجلة العروس. وتنوعت اهتمامات الصحافة النسائية في ذلك الوقت بين الاهتمامات التقليدية للمرأة من ناحية وبين مناقشة قضاياها والمطالبة بحقوقها الشرعية من ناحية أخرى ومن القضايا التي ناقشتها الصحافة النسائية في مصر تعليم المرأة. أما لبنان فكانت الصحافة النسائية بها تدعو لترقية المرأة ثقافياً والاهتمام بالأمور الأسرية بينما اقتصرَت الصحافة في سوريا على التركيز على تلك الموضوعات النسائية حيث كثرت فيها النصائح الزوجية والبيئية والملاحظات الخاصة بتربية الأطفال وإعداد الطعام واختيار الملابس. هذا واتسمت الصحافة خلال هذه الفترة بالمبادرات الفردية وارتباط تلك الصحف بأصحابها وخلال فترة العشرينيات من القرن العشرين امتد تيار الصحافة النسائية ليشمل العراق إلى جانب مصر ولبنان وسوريا حيث بدأت الصحافة النسائية في العراق سنة ١٩٢٣.

وتطورت الصحافة النسائية في مناقشة قضايا المرأة لاسيما في مصر حيث طرحت الدعوة إلى التوسع في تعليم المرأة وإشراكها في التعليم العالي أسوة بالبنين والسعى لتحرير المرأة المصرية من قيود العادات والتقاليد كما شاركت المرأة المصرية في ثورة ١٩١٩ أول ثورة تحريرية في الوطن العربي وكان لذلك أثره الإيجابي في طرح قضايا جديدة مثل السفور والمطالبة بحق المرأة في المشاركة السياسية حيث طالبت هدى شعراوي ورفيقاتها بحق المرأة في التصويت في الانتخابات النيابية.

وفي لبنان استمرت الصحافة النسائية في الحث على ترقية المرأة أدبيا وعلميا وبث روح التربية الاستقلالية وتحسين الحياة العائلية، هذا إلى جانب الاهتمامات التقليدية مثل التدبير المنزلي وشئون الأسرة والتي ظهرت في مجلة (ليلي) العراقية التي قادت حملة لتحرير المرأة في العراق.

هذا واستمرت المبادرات الفردية هي الغالبة في الصحافة النسائية خلال هذه الفترة.

أما فترة الثلاثينات من القرن العشرين: فقد شهدت ظهور الصحافة النسائية في بلاد المغرب العربي وبالتحديد في تونس حيث كانت الدولة الخامسة في إصدار المجلات النسائية وتميزت هذه المرحلة بجدية وأهمية القضايا المطروحة بالصحافة النسائية خاصة تلك التي تتعلق بحقوق المرأة ففي مصر اهتمت الصحافة النسائية بخلق وعي نسائي بين القراء والقارئات وإقناع المواطنين بمكانة المرأة وما تؤديه من دور هام في البلاد، كما خلقت الصحافة النسائية أدبا نسائيا له طابعه الخاص ونبهت الصحافة النسائية في لبنان إلى مخاطر التخلي عن التقاليد وأكدت ضرورة الاهتمام بتعليم المرأة، وعالجت الصحافة النسائية بالعراق قضايا تحرير المرأة وبعض المشكلات الاجتماعية المرتبطة بها مثل "إجبار الفتيات على الزواج" والمطالبة "بتخفيض المهور" وكذلك الدعوة إلى نزول المرأة لميدان العمل هذا ولم تقتصر

الصحافة النسائية العربية على معالجة قضايا المرأة بل تطرقت إلى القضايا والأحداث السياسية كذلك.

ويلاحظ في فترة الأربعينات من القرن العشرين: أنه بالرغم من صدور عدد كبير من الصحف النسائية خلال هذه المرحلة إلا أنها اتسمت في معظمها بالاهتمام بالأمور التقليدية للمرأة "كفن التجميل والاهتمام بالمظهر - صحة الأم والطفل". ويمكن أن يستثنى من ذلك "مجلة بنت النيل" لدرية شفيق التي سعت من أجل نيل المرأة لحقوقها السياسية والمطالبة بإصدار التشريعات التي تكفل ذلك، أيضاً مجلة (بنت الوادي) في السودان أولى المجلات النسائية به والتي طالبت بتعليم وعمل المرأة.

وفي حقبة الخمسينيات من القرن العشرين: دخلت دول عربية جديدة مجال الصحافة النسائية "كالأردن" مثلاً التي أصدرت مجلة (فتاة الغد) سنة ١٩٥٠ وعالجت المشكلات الاجتماعية للمرأة. وشهدت هذه الفترة التزاوج بين إثارة القضايا الخاصة بتعليم وعمل المرأة وبين الاهتمام بالأمور التقليدية (التجميل - الأزياء - المطبخ.. الخ) وذلك على مستوى الصحافة النسائية العربية ككل.

كما بدأت المبادرات الفردية في إصدار الصحف النسائية تقل وبدأ يظهر دور الجمعيات والاتحادات ودور الصحف وتجلي ذلك في صدور مجلة حواء عن دار الهلال عام ١٩٥٧، مجلة "هريزون" اللبنانية التي أصدرتها الجمعية الخيرية الأرمنية العامة. وكذلك مجلة "الاتحاد النسوي العراقي" التي أصدرها الاتحاد النسائي ببغداد.